المختار»، وبذا اصبح تاريخ هذا الشعب محط عناية الله، أي ان التاريخ، هنا، اصبح يعبر عن فكرة مقدسة ومطلقة. ولكن هذا التاريخ تاريخ ذو مغزى اخلاقي يستخلص منه المؤمن العبر؛ بل ان العبرة، في كثير من الأحيان، أهم من الحدث ذاته. وهو يتبع نسقاً دينياً محدداً يختار من الحدث ما يخدم الهدف ويلجأ الى المجاز والاستعارة والرموز والمبالغة ليوصل الحكمة الى القارىء، وبالتالي كثيراً ما تتناقض وقائع هذا التاريخ مع وقائع التاريخ الموضوعي، وان كانت تتفق معها احياناً. وكثير من القصص التي وردت في العهد القديم والتي تدعي لنفسها التاريخية لا يمكن اثباته بالعودة الى التاريخ ذاته. كما ان بعض المدونات الآشورية والبابلية والمصرية تعطينا، احياناً، صورة مختلفة تماماً؛ فمثلاً، يأتي ذكر سليمان في التاريخ التوراتي المقدس على انه كان ملكاً عظيماً مهاباً، بينما نحن نعرف ان المملكة اليهودية تحت حكمه قد ازدهرت حقاً، ولكننا نعرف، أيضاً، انه كان ازدهاراً مؤقتاً بسبب الفراغ السياسي في الشرق الاوسط القديم. كما نعرف ان مملكته لم تكن تختلف كثيراً عن الدويلات الاخرى التي ازدهرت في تلك المنطقة بسبب غياب الامبراطوريات العظمى التي أكتسحتها وتقاسمتها، فيما بينها، بعد ظهورها (وهذه كلها جوانب يسقطها التاريخ المقدس ولا يعنى بها). كما نعلم ان سليمان، في عظمته، لم يصل، في اي حال، الى تلك الابعاد الاسطورية التي تتحدث عنها الرواية التوراتية.

وثمة مدارس عديدة، لكل رأيها في قصص العهد القديم؛ اذ يرى البعض ان التاريخ الذي يرد في العهد القديم هو تاريخ رمزي؛ فابراهيم ليس شخصية تاريخية، وانما هو يمثل مرحلة، وبالتالي فهو رمز أكثر أهمية ودلالة وعمقاً من الواقعة التاريخية.

وهناك من يذهبون الى طرف النقيض ويحاولون دراسة التاريخ من خلال المعلومات الواردة في العهد القديم.

وهناك من يختطون طريقاً وسطاً بين المدرستين. ونحن نطلق على هذا القصص الديني، الذي جاء ذكره في العهد القديم، التاريخ المقدس او التاريخ التوراتي، وهو جزء من تاريخ اليهودية اكثر منه جزء من تاريخ الجماعات اليهودية، ويمكن للباحث ان يستفيد منه في معرفة التاريخ الواقعي، دون ان يكون ذلك ملزما له. ونحن نرى ضرورة اضافة عبارة «وحسب الرواية التوراتية» أو عبارات مماثلة حينما يستند الباحث الى الوقائع التي وردت في العهد القديم، وحينما يستخدمها كمادة تاريخية.

وتعبيراً عن هذا التمييز بين التاريخين، تاريخ اليهودية وتاريخ الجماعات اليهودية، نرى ضرورة اسقاط بعض المصطلحات الشائعة والتي تعترض مثل هذا التداخل، مثل «مرحلة الهيكل الاول» أو «هدم الهيكل» أو «الكومونولث الاول» أو «بعد تحطيم هيكل تيتوس». فهذه احداث ذات دلالة دينية لا تصلح لتفسير التاريخ الموضوعي.

ومن المصطلحات الشائعة التي نرى ضرورة استبعادها، لانها تعترض تداخل وتوحد تاريخ العقيدة اليهودية بتاريخ الجماعات اليهودية (بل والتاريخ المقدس كذلك)، مصطلح «التاريخ اليهودي». فهو يفترض ان ثمة بناء تاريخياً يهودياً يتواجد داخله اليهود وحدهم، يتفاعلون مع عدة عناصر قاصرة عليهم، من أهمها دينهم وبعض الاشكال الاجتماعية التي يتوهم بعض المؤرخين أنها مقصورة عليهم. واستقلالية بناء تاريخي ما تعني استقلالية ابنيته الاقتصادية والاجتماعية والابنية الحضارية (والرمزية) المرتبطة به، الى جانب وجود